العلاقة بين الفن و الأخلاق عند جاك ماريتان

حياته و أعماله

ولد جاك ماريتان 18 نوفمبر 1882 م فى باريس ثم انفصل والديه و عاش مع والدته رفقة شقيقته جين و كان والد امه جولى فافر رجل دولة معروف و احد مؤسسى الجمهورية الثالثة و هو بروتستانتى المذهب

كان جاك مولعا بالكتب منذ الصغر و تعلم فى المدرسة الليسية ثم فى السربون حيث حصل على ليسانس الفلسفة ثم درس العلوم الطبيعية و قد كان معجبا بالفيلسوف " اسبينوزا " ثم تأثر بافكار برجسون لأنه احد مدرسيه فى الكوليج دى فرانس

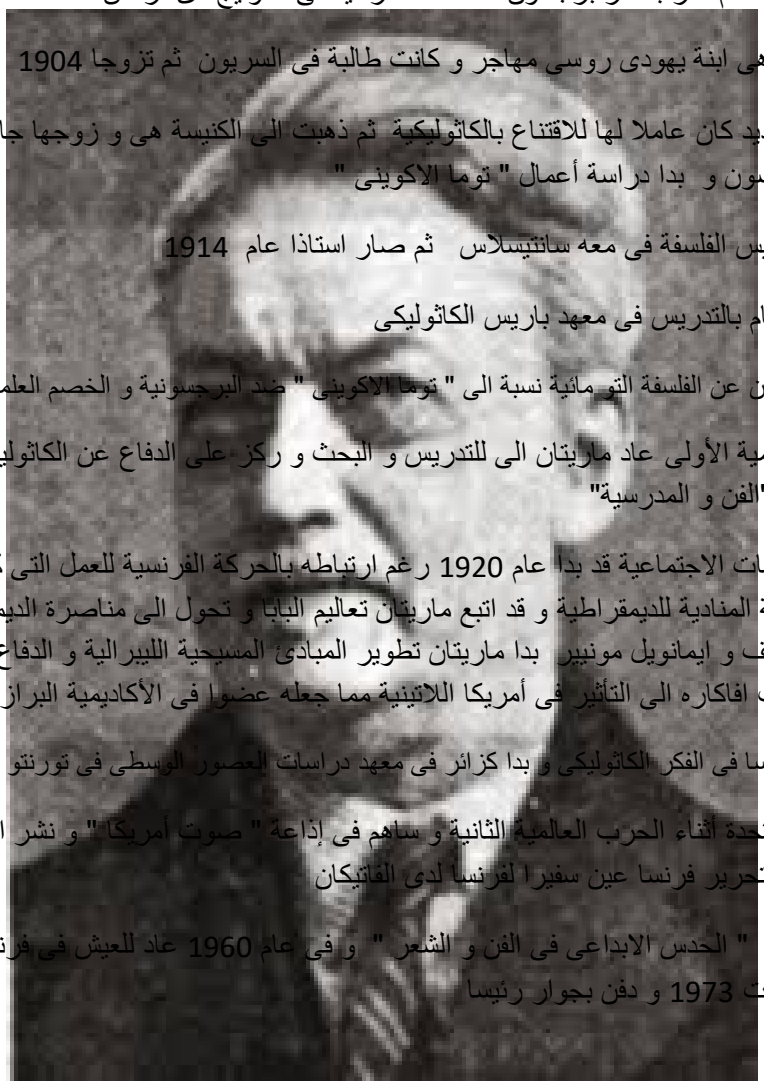

1901 التقى رئيسا اومانسوف و هى ابنة يهودى روسى مهاجر و كانت طالبة فى السربون ثم تزوجا 1904

1906 عانت رئيسا من مرض شديد كان عاملا لها للاقتناع بالكاثوليكية ثم ذهبت الى الكنيسة هى و زوجها جاك ماريتان و اعتنقا الكاثوليكية و بدا ماريتان يتخلى عن فلسفة برجسون و بدا دراسة أعمال " توما الاكوينى "

عام 1912 قام جاك ماريتان بتدريس الفلسفة فى معه سانتيسلاس ثم صار استاذا عام 1914

ثم من عام 1915 الى 1916 قام بالتدريس فى معهد باريس الكاثوليكى

و فى عمله الفلسفى الاول دافع ماريتان عن الفلسفة التومائية نسبة الى " توما الاكوينى " ضد البرجسونية و الخصم العلمانى و هم انصار الفلسفة المادية

بعد خدمة قصيرة فى الحرب العالمية الأولى عاد ماريتان الى للتدريس و البحث و ركز على الدفاع عن الكاثوليكية و الفكر الكاثوليكى و امتدت اهتماماته لتشمل علم الجمال مثل "الفن و المدرسية"

كان تحول ماريتان نحو الموضوعات الاجتماعية قد بدا عام 1920 رغم ارتباطه بالحركة الفرنسية للعمل التى كانت لا تميل للديمقراطية ثم أدينت هذه الحرجة من قبل الكنسية المنادية للديمقراطية و قد اتبع ماريتان تعاليم البابا و تحول الى مناصرة الديمقراطية و بفضل صداقته للفيلسوف الروسى نيكولاى باردئيف و ايمانويل مونيير بدا ماريتان تطوير المبادئ المسيحية الليبرالية و الدفاع عن الحقوق الطبيعية و اهتم بنشر كتب توما الاكوينى و قد أدت افاكاره الى التأثير فى أمريكا اللاتينية مما جعله عضوا فى الأكاديمية البرازيلية للآداب

عام 1930 كان ماريتان عضوا مؤسسا فى الفكر الكاثوليكى و بدا كزائر فى معهد دراسات العصور الوسطى فى تورنتو بكندا لتقديم المحاضرات

عام 1940 انتقل الى الولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية و ساهم فى إذاعة " صوت امريكا " و نشر الفلسفة السياسية إضافة الى علم الجمال مثل الفن و الشعر ثم بعد تحرير فرنسا عين سفيرا لفرنسا لدى الفاتيكان

نشر ماريتان كتابه فى علم الجمال " الحدس الابداعى فى الفن و الشعر " و فى عام 1960 عاد للعيش فى فرنسا و اختار أن يعيش كراهب فى " دير إخوة يسوع الصغار " ثم مات 1973 و دفن بجوار رئيسا

فلسفته :

ـ بدا ماريتان متحمسا لأراء "هانز دريش " البيولوجية و فلسفة " برجسون و لكن بعد اعتناق الكاثوليكية تخلى عن هاتين الفلسفتين و اتجه الى فلسفة " توما الاكوينى " و قد نقد فلسفى برجسون فى عدة نقاط أو مآخذ

ـ فقد اخذ ماريتان على برجسون أن برجسون وقع فى فخ الماديون و ذلك لان برجسون خلط بين العقل المشوه المصاب بالعمى و بين العقل الثمين جدا الجميل جدا الذى وهبه الله للإنسان

@ فبرجسون فى فلسفته يرى انه لاوجود لله فى حين أن ماريتان ينتقد ذلك قائلا متى نفينا الوجود فقد حطمنا فى الأشياء ما به تشابه لله و ما به ترينا الله و من هنا يقول ماريتان أن فلسفة برجسون هى " وحدة وجود ملحدة "

@ أما بالنسبة للفلسفة التو مائية فيقول ماريتان " أن التو مائية ترى أن حياة العقل ينظر إليها من جانبها العقلى الخالص و الاستنباطى و من وجهة نظر الترابط بين التصورات بعضها البعض و أن هذه الحياة تقدمية فى جوهرها و انتقال من الغير الى الغير فى الروح

@ و فى مواجهة الفلسفة الحديثة أصر ماريتان على أولوية " الميتافيزيقا " عن الابستمولوجيا " نظرية المعرفة " و رأى أن نقد المعرفة هو جزء من الميتافيزيقا و ذكر أن بنية و مناهج العلوم تحدث بواسطة طبيعة الموضوع المدرك

@وضع ماريتان فى كتابه " ضد الحديث " فقد انتمى ماريتان فى شبابه الى حزب يمينى ملكى و كان فى هذه الفترة معارضا لكل ما هو حديث و يميل الى إحياء التفكير الدينى و الفنى كما ظهرت المسيحية فى العصور الوسطى و من هنا جاءت دعوته الى نبذ ما جاءت به الثورة الفرنسية من بدع و الرجوع الى المجتمع الكاثوليكى

@و فى عام 1926 اصدر البابا قرارا بإدانة الحركة أو الحزب اليمينى المنتمى إليه ماريتان و فتخلى ماريتان عن ارتباطه بالحركة ثم اصدر عام 1936 كتابه " النزعة الإنسانية الكاملة " و انتقد غزو إثيوبيا و هاجم الملكية بعد تولى زمام الأمور فى فرنسا للاشتراكيين و الشيوعيين و اخذ يغازل الديمقراطية

@أصبح ماريتان رغم انتقاده لأسس الفلسفة الليبرالية و لكنه أصبح يقف جانبها فيما يتعلق بالسياسة العملية و صار من اشد المدافعين عن التقليد الجمهورى فى فرنسا و لكن من وجه نظر الدين الكاثوليكى حيث حرص ماريتان على توضيح دور الدين فى الحياة فهو يرى أن مع اهتمامه بالعلم و الفلسفة و لكن ذلك يكون فى نطاق الدين أيضا و أن كان الدين فى حاجة للقديسين فذلك يعنى أن الدين هو الأساس

@ يرى ماريتان أن المجتمع المدنى يقوم على أساس المصلحة المشتركة و العمل المشترك و هما شيئان ذوا صفة أرضية أو زمنية أو دنيوية و فى العصر الحديث جرت محاولة لتوطيد أسس الحياة الدنية على أساس العقل فحسب منعزلا عن الدين وقد انتعشت هذه المحاولة و لكن سرعان ما أخفقت و نظرا لتهميش دور الدين

@ ومن خلال ذلك يرى ماريتان أن تقوم ديمقراطية جديدة ليست علمانية بل تضع الدين ضمن إطارها و بالتالى يكون ممكنا لبناء مجتمعا سليما

@ يرى ماريتان أن كل مجتمع بشرى إنما هو بناء قائم على السلطة اى يحتوى على تنظيم لتسلسل السلطة فبعض الناس يأمرون و الآخرون يطيعون وان كان المجتمع متساويا فلا بد من وجود قوانيين يرضخ لها الجميع و ذلك الخضوع قد يكون بالإكراه أو الرضا و أن كان بالرضا فلا بد للخاضعين أن تكون لهم قيم يؤمنون بها

@ لم تقف إسهامات ماريتان عند الميتافيزيقا و فلسفة السياسة و التاريخ بل تجاوزتها الى نظرية المعرفة و الأخلاق و فلسفة الجمال فقد أسهم فى مجال فلسفة الجمال بنصيب كبير من الأفكار التى كانت موضع جدالا كبيرا و عميقا

الفصل الاول (الفن فضيلة العقل العملى)

$ يرى جاك ماريتان أن دراسة الفنون النافعة تكشف السمات الواضحة و النموذجية للفن بقدر ما هو فن و معناه الشامل

$ فى العصور ما قبل التاريخ كان البحث عن الجمال معاصرا للبحث عن اختراع الأدوات و الأسلحة و أن نشاط الإنسانية البدائى فى التصوير و النحت لم يكن موجها الى للأغراض السحرية و لكن كانت هناك حقيقة لذة المحاكاة و النبضة الشعرية باقية و لكن مع العمل على إشباع بعض الحاجات فى الحياة الإنسانية

$ ينفى جاك ماريتان أن الفن كان مرتبطا بالعمل فحسب و الحاجات النفعية فقط و ينفى توجهه للأغراض السحرية فهو يرى أن تذوق الجمال كان موجودا منذ البدء رغم أن هذا الراى لا يتطابق مع أراء أخرى ترى أن كلمة فن فى العصور القديمة كانت تتسع لتشمل أمورا لا تدخل ضمن نطاق الفن

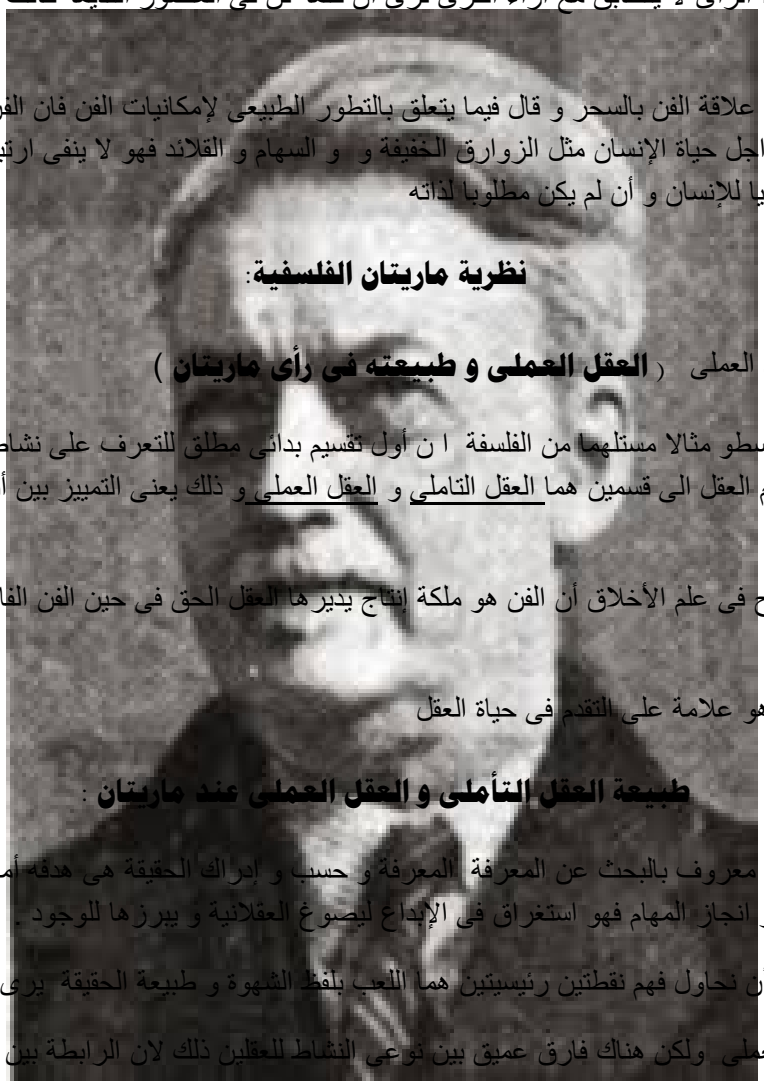

$ تراجع جاك ماريتان عن رفض علاقة الفن بالسحر و قال فيما يتعلق بالتطور الطبيعى لإمكانيات الفن فان الفن لا يبدأ بالحرية و الجمال للجمال كغاية بل يبدأ بصنع الأدوات من اجل حياة الإنسان مثل الزوارق الخفيفة و و السهام و القلائد فهو لا ينفى ارتباط الصنعة بالشعر أو الفن الجميل اى أن الجمال مطلبا غريزيا للإنسان و أن لم يكن مطلوبا لذاته

نظرية ماريتان الفلسفية:

يرى ماريتان أن الفن فضيلة للعقل العملى (**العقل العملى و طبيعته فى رأى ماريتان**)

$$ ـ كتب مارتيان لقد اوضح ارسطو مثالا مستلهما من الفلسفة ا ن أول تقسيم بدائى مطلق للتعرف على نشاط الفكر هو تقسيم بدائى مطلق للتعرف على نشاط الفكر هو تقسيم العقل الى قسمين هما العقل التاملى و العقل العملى و ذلك يعنى التمييز بين أسلوبين مختلفين يهما قوة لنفس واحدة تمارس نشاطها

$$ ـ أن أرسطو طاليس قد أوضح فى علم الأخلاق أن الفن هو ملكة إنتاج يديرها العقل الحق فى حين الفن الفاسد أو عدم المهارة هو ملكة إنتاج لا يقودها إلا عقل فاسد

$$ ـ أشار سانتيانا الى أن الفن هو علامة على التقدم فى حياة العقل

طبيعة العقل التأملى و العقل العملى عند ماريتان :

@ يرى ماريتان أن العقل التاملى معروف بالبحث عن المعرفة المعرفة و حسب و إدراك الحقيقة هى هدفه أما العقل العملى فهو يدرك لغرض الفعل موضوعه النشاط الانسانى و انجاز المهام فهو استغراق فى الإبداع ليصوغ العقلانية و يبرزها للوجود .

@ ولتوضيح أكثر يرى ماريتان أن نحاول فهم نقطتين رئيسيتين هما اللعب بلفظ الشهوة و طبيعة الحقيقة يرى ماريتان انه

أن نشاط العقل التاملى أو العقل العملى ولكن هناك فارق عميق بين نوعى النشاط للعقلين ذلك لان الرابطة بين العقل و الشهوة و مكونات الحقيقة غير متماثلتين فى الحالتين

ـــ فى العقل التاملى تتدخل الشهوةهى بمثابة الإرادة لتأتى بالعقل لممارسة قدراته الخاصة و ذلك لان العقل المنهمك فى عمله لا تكون للشهوة اى فاعلية فى عمله

ـــ فى العقل العملى فان الشهوة تلعب دورا رئيسيا فى عمل المعرفة

@ ونظرا لان العقل التاملى مختص بالمعرفة التأملية و العقل العملى مجاله المعرفة العملية فان نتاج ذلك يكون الحقيقة فى المعرفة التأملية هى ملائمة العقل مع الوجود لكن فى المعرفة العملية لا وجود لأشياء سابقة يستطيع العقل بها أن يجعل ذاته ثابتة

إذن العقل العملى هو اده المعرفة العملية التى تتعلق بأشياء لم توجد بعد بل هى فى طريقها للوجود و من هنا تكمن حقيقة مقولة (الفن هو فضيلة للعقل العملى) فهو فضيلة عقل الإنسان فعندما يفكر العقل ليس هو من يعمل و لكن الإنسان نفسه هو الذى يعمل و يفكر عبر عقله و إذن الفن هو فضيلة تتعلق بخير العمل و ليس بخير الإنسان ..... ذلك لان نشاط العقل العملى ينقسم الى قسمين هما

الاول يتعلق بالأفعال الإنسانية وهو يتعلق بالأخلاق و الأخر يتعلق بالأفعال المصنوعة بواسطة الإنسان وهو يتعلق بالنشاط الفنى

$$ - و الفن طاقة استثنائية للإنسان و قوة حيوية مبدعه يجب تقديرها فى ذاتها و تحريرها من طبيعتها

أراء ماريتان فى مجال الفن :

@ يرى ماريتان أن الفن فى ذاته يميل الى خير العمل الفنى و ليس خير الإنسان و أن غاية الفن هى الجمال . الجمال المطلق الذى لا يقبل القسمة فالفن غاية فريدة و يجب أن يصنع لأجل جماله

@ - يرى ماريتان أن الفن مثل الروح يتجاوز حد الزمان و المكان و كل الحدود التاريخية و القومية فهو يجد حدوده فى الأفق اللامتناهى للجمال

@ الفن رغم انه ينشد ذاته و يصنع من اجل جماله الخاص و يتجاوز الزمان و المكان اى يمكن تذوقه فى مكان غير المكان و زمان غير الزمان إلا انه يعتمد على كل ما هو إنسان اجتماعي و على ذلك يكون الفن و وثيق الصلة بالظروف الاجتماعية و السياسية و غيرها و من هنا فالتقدم التكنولوجى الذى يؤثر تأثيرا كبيرا فى حياتنا له صلة كبيرة بالفن

@ يرى ماريتان أن المجتمع لا يمكن أن يعمل دون بهجة لان المحروم من البهجة الروحية يلجأ الى ما هو جسدى شهوانى

@ - يرى ماريتان أن الفن فعل ابداعى لمعين أو بئر لا ينضب و هو يكمن فى الروح و يجتذبنا فى لحظة موحية بألفة النفس مع الفنان و السر الذى يتلقاه الفنان بواسطة الحدس و الذى يمكن التعبير عنه فى العمل الفنى فقط

طبيعة موقفنا تجاه الفن

@ - يرى ماريتان أن موقفنا تجاه الفن يعتمد على تذوقنا الطبيعى و تربيتنا الفنية و يعتمد أيضا على جوهر التصور الذى نضمره لموضوع الفن فنحن نريد أن نرى فى الفن معالجة موضوعات بطريقة متفقة مع تصورات سابقة فى عقولنا و هى التى نراها كتعبير عن حقيقة الموضوع ومن هنا فان نظرتنا للفن بهذه الطريقة يجعلنا نفرض تصورات عقولنا كشروط على الفن و ذلك يعوق تلقيه بشكل حقيقى لأننا فى هذه الحالة لا نبحث عن كونه عمل فنى بل نحن نبحث عن أنفسنا و ميولنا و تصوراتنا المسبقة فى عقولنا و بذلك المحكوم عليه هنا هو نحن و الحاكم هو الفن و بذلك يكون الحكم على العمل الفنى دون جدوى و ذلك لا يقبله ماريتان

الحكم على العمل الفنى من وجهة نظر ماريتان :

@ - يجب أن نحكم على العمل الفنى كحامل حى لحقيقة غامضة بحيث يكون العمل الفنى و نحن معا موضوعا لهذه الحقيقة و لا نضع أنفسنا كقضاة و لكن نكون ممتثلين لما قد يعلمنا إياه العمل الفنى أو ماذا تعلمنا من ذلك العمل الفنى

@ - و لكى يكون ذلك الحكم فنيا يجب علينا أن نقبل فى البداية الأهداف العامة للفنان و رؤيته الإبداعية

@ - الحكم على العمل الفنى من وجهة نظر ماريتان هو أكثر من مجرد الوصول لفهم عقل أخر هو عقل الفنان الذى قام بالعمل الفنى و قبل أن نحكم عليه يجب أن نقبل و نحترم السبل التى سلكها الفنان ليصل الى جوهر الأشياء و التعبير عنها و من ثم يمكننا إذن أن ندرك إذا كان لدى الفنان شيئا ليقوله لنا من خلال عمله الفنى

@ - يؤكد ماريتان على قبول تصور الفنان و رؤيته الإبداعية و التعامل مع العمل الفنى كعمل مبدع

@ - و تأكيدا لذلك نرى ماريتان يمتدح الفن الحديث رغم انتقاده للفن الحديث و هذا ما سوف نعرفه لاحقا فهو يرى أن الانجاز العظيم للفن الحديث و الشعر الحديث هو إنهما أصبحا مدركين لنفسيهما و للسر الروحى الكامن بداخلهما و يرى أيضا أن الفنان كائن يقتحم المخاطر و هو كعبقرى و مبدع لكى ينتصر على المتحفظ الفاتر فانه يصارع أناسا اقل درجة و هم يتحطمون بجانب الطريق

@ - يرى ماريتان أن احترام جهد الفنان و الإحساس بالسر الروحى داخل عمله و كونه إنسان متمسك بالجمال كل ذلك اساسى لكل حكم فنى أما الفنان الذى لا يستحق الاحترام هو الذى يعمل لكى يسر الجمهور و لكى ينجح تجاريا أو رسميا

فالحكم الفنى هو حكم على جهد الفنان و الذى يجب أن يدركه المتلقى

ورغم ذلك يحاول ماريتان توضيح الأمر للأخلاقيين و رجال الدين فهو يقول لا أقدم ذريعة من اجل التسامح مع كل الأعمال الفنية و لكن أدافع عن الذين يستثمرون الحقائق لكى ينتجون الفن المسرحى الحديث